كلمة

طاهر المصري

في حفل

مئوية تأسيس (كلية) جامعة النَجاح

27/9/2018

نابلس

بسم الله الرحمن الرحيم

أسعدَ اللهُ أوقاتَكم بالخيرِ والمسرّاتِ أيتها الأخواتُ والأخوة جميعاً..

هيَ البَهجةُ أولاً، وَسطَ رُكامِ الأحزانِ العربيّة الجَاثمةِ، في هذا الزَمانِ الرَديءِ..!

بَهجةٌ.. أن يكون المَرءُ بينكم، حيثُ مَسقطُ الرأسِ والرُوح، وأوّلِ المعرفةِ..

أمّا الأحزانُ العربيةُ، فحديثُها أطولُ من أن يُروى هُنا. فلنَكتَفِ بقليلٍ من البَهجةِ، بَهجَتِكم بـ(مئويّةِ نَجاحِكُم) بـ(النَجاح). ويَا لَهُ من نجاح..!؟

حَسناً فعلتم، أيها الأصدقاءُ ، بأن جعلتُم تاريخَ الاحتفاءِ بالنَجاح (جامعةٌ وكليّةٌ ومَدرسةٌ) هو تاريخُ تأسيسِ المدرسةِ ، في غُرّةِ مُحرّم 1337 هـ ، الموافق 6 أكتوبر 1918 م ، حيثُ أرستْ الحربُ الكونيةُ الأولى آخرَ أوزارِها، ومراسيها، وكوارثها، هُنا.. في سَهلِكم، في سَهلِ نابلس.

ففي سَهلِكُم هَذا، حيثُ تلّ المُتَسلِّمِ، أو تلّ مَجِدّو، كانت آخرُ معارك تلك الحربِ، معركةِ مَجدّو كما يسمّيها البريطانيون، أو معركةِ سَهلِ نابلس كما يسمّيها الأتراكُ، حيثُ أبادت الطائراتُ البريطانيّةُ خيولَ ومدافعَ وعرباتِ الجيشِ السابعِ العثمانيّ، بقيادةِ مصطفى كمال أتاتورك، وذهبَ ضحيّتها ما يزيدُ عن خمسةِ آلافِ عسكريٍّ عثمانيٍّ، ما بينَ قتيلٍ ومفقودٍ وأسير.

في سَهلِكُم هذا، احتشدت القوات البريطانية، قادمةً من السَلطِ وعمّانَ، لمساندة القوّات القادمة من حيفا والكرمل شَمالاً. لتنتهي المعركةُ الكارثيّةُ، بفرار أو انسحابِ أتاتورك، إلى بَلدةِ (النعيّمة) في سهلِ إربدَ، ثمّ دَرعا فدمشقَ فانطاكية.

أيّتها الأخواتُ والإخوةُ المحترمون..

أستميحُكم العُذرَ إن بَدا للبَعضِ أنّني أخرجُ عن المناسبةِ، أو ما يبدو أنّه إطالةٌ، في غير مكانها، في إشارتي إلى بعضِ المحطّاتِ اللافتةِ. فما خرجتُ، ولا أطلتُ، إلاّ لأعودَ إلى المَعاني العَميقةِ لِلحظتكم المباركةِ.. لَحظةِ نَجاحِكُم في (تأسيسِ النجاح..)، وكيفَ رَدَّ أسلافُكم العِظامُ، وهُمُ الضُعفاءُ آنذاكَ، على لَحظةِ الهَزيمةِ المزدوجةِ؛ لَحظةُ الهَزيمةِ والاحتلالِ معاً.

لم يكُن تهافتُ (الجنرال ألنبي) على ربط اسمه بذلك الاسم والمكان قادماً من فراغ. فعلاوةً على الأهميّةِ الاستراتيجية الإقليمية لسهل نابلس، فهو يقع على الطريق التجاري والعسكري، الذي يخترق جبل الكرمل من السهل الساحلي، ويتحكّم بمدخل مرج ابن عامر، ويسيطر على الطريق

الآتية من مصر إلى سورية، مما أكسبَ المدينة مكانةً مهمّة على مرّ العصور.

وفيه دارت معركةُ مجّدو العالميةُ، في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، بين القوات المصرية تحت قيادة الفرعون تحتمس الثالث وبينَ ائتلافٍ كبير من المتمرّدين الكنعانيين تحت قيادة ملك قادش. حيثُ خلّدتها الآثار المصرية في معبد الكرنك، ووثائق تلّ العمارنة، وفيها تمّ استخدام القوس المركّب، لأوّل مرّة في التاريخ. ووَجدت صَداها في الكتب المقدّسة، وفي مسامع مملكةِ آشور.

فمَجِدُّو، المكانُ والزمانُ، بما هو سَهلُ نابلس، حيثُ كان جنرال الحرب (ألنبي..) المنتصر يعرف تاريخه التفصيليّ وأهميته، فتخلّد به بمعركته الشهيرة.)) أما أجدادكُم ، الراسخون في المكان والزَمان، فبغرائزهم كانوا يعرفون أنّ الردّ على الهزيمة الحضارية لا يكونُ سوى رَدٍ حضاريّ. ففي يَوم معركة مجدّو، حصلوا من القوّات التي احتلّت المنطقة ومعظمَ أجزاءِ فلسطينَ في غزّة وبئر السبع والقدس، قبلَ أشهرٍ، حصلوا على أوّل ترخيصٍ لتأسيس مدرسةٍ في نابلس، وبعدَ عقودٍ من اللأيِّ العثمانيّ، والمحاولات الفاشلةِ لتأسيسها. ويَا لمفارقةِ الاسمِ الحَضاريِّ الذي اختاروه لَها؛ النَجاحُ..!؟

وكَي لا يَتّهمُني أحدٌ، بالمبالغةِ أو المُحاباةِ، أرجوكُم أن تستمعوا إلى ديباجة أسلافِكُم، وفي مثل هذه الأيام قبل مئة عامٍ، في وثيقةِ تأسيس مدرستِهم، التي صارت جامعةً وصرحاً علمياً يتُباهونَ بها الدنيا:

أمّا بعدُ..

فكان العلمُ هوَ المادة التي بها قوامُ الأممِ في المجتمعات، وحياةُ الشعوبِ في مُعتركِ هذه الحياةِ، وكان نصيبُ الأمةِ العربيةِ منه في هذا الزمنِ قليلاً، لا يتناسبُ مع ذكاءِ أبنائها الفطريِّ ومواهِبهم الساميةِ،

(فقد..) فكّرَ لَفيفٌ من النابلسيين، ممّن عُرفوا بالوطنيةِ والتفاني في خدمة المصلحة العامة، والسعي وراءَ ترقيةِ العلمِ، وغرسِ بذورِ الأخلاق الفاضلةِ في نفوسِ الناشئةِ الجديدةِ، في تأسيسِ مدرسةِ وطنيةِ حرّةٍ، تكون مُنبعاً لأنواعِ العلومِ المفيدةِ، ومَغرساً للآدابِ العاليةِ والتربيةِ الصحيحةِ.

وقد قوّى عزيمَتَهم على تأسيسِ المدرسةِ المذكورةِ، ما مُنِيَتْ به البلادُ، في الزمنِ الفائتِ من التواءِ طرقِ التعليمِ في المدارسِ السابقة، وعدمِ حصولِ الفائدةِ المرجوّةِ منها.).

_ نابلس؛ في غرّة محرم 1337هـ

_ الموافق؛ 6 اكتوبر1918

واستمرت مسيرة العطاء وترسيخ الفكر والعلم فأكملت جامعة النجاح مشوار الكلية .

وها نحن نرتوي من علمها وتجعلنا نصمد في أرض فلسطين ، وأتمنى على إدارة الجامعة أن تعمل على فتح كلية النجاح الوطنية وإعادة تأهيلها لكي تتكامل مسيرة الجناحين الكلية والجامعة ، ليبقى جبل النار مضيئاَ بالعلم والثقافة .

بالعِلمِ رَدُّوا على الهَزيمةِ الكبرى أيّتها الصديقاتُ والأصدقاءُ. فلا شيءَ غيرَ العلمِ والتحضّرِ والارتقاءِ تَرُدُّ بهِ الأممُ المهزومةُ على هزائهمها. فالتخلُّفُ والجَهلُ هما أسبابُ الهزائمِ الحقيقية للشعوب والأمم، والعلمُ والمعرفةُ والارتقاءُ هيَ أسبابُ النصرِ والتحضُّرِ والنهوض.

يا أهلَ نابلس، ويا أهلَ فلسطينَ، ويَا أيّها الحضورُ الكريمُ..

أمَا وقد سَمحتُ لنفسي بالإطالةِ عليكم.. فاسمحوا لي بأن أقدّم عُذري لَكم، فالعُشّاقُ يُعذَرونَ بعشقِهم. ففي النجاح المَدرسةِ ساهم جدي الحاج طاهر بالتأسيس ودَرسَ أبي نشأت ، وعمّي حكمت وعمي صبيح ، وكثيرٌ من أبناءِ عائلتي، وفي النجاح الكلّيةِ درستُ أنا قُبيل نكبةِ فلسطينَ، وشاركتُ الشَهيدَ شَهيدَكُم وشهيد الوطن ظافر المصري مقعدَ الدراسةِ.

وهُنا، في النَجاح، تعلّمتُ، وتَفَتّحتْ مَداركي، وأصَبتُ ما أصبتُ من تربيةٍ وتعليمٍ، على أيدي أساتذةٍ مخلصينَ أكفياءَ، يسرُّني أن أذكرَ واحداً بالخير هو المرحوم قدري حافظ طوقان ، ولأ أنسى فضل المرحومين : خليل الخماش - اديب مهيار – عادل تفاحة – بكر عبد الحق – محمد العمد – الشيخ زكي أبو الهدى – الشيخ أسعد شرف – أمين صوفان – قصي هاشم – مروان الطاهر .

اسمحوا لي ان انهي بأن اقرأ بعض من ابيات شعر

للشاعر محمود درويش

نحن يا صديقي لا نبحث عن هوية

نحن في علم البشر حروفه الأبجدية

نحن من خلقنا الله لنعلم الحرية

نحن من عشق الأرض والطهر والزيتون

نحن من تشرف بزيارتنا كل الأنبياء

نحن مفتاح السماء

بلا قيامة بدوننا

نحن اؤلاء الآخرة

هل ما زلت تعتقد صديقي اننا نبحث عن هوية

ُورِكَ نَجاحُكم. وبُوركتْ مئويتُكم. وإلى الأمامِ إلى الأمامِ إلى الأمامِ.

لَكُم الشَمسُ .....

لَكُم القُدسُ. .....

لَكُم النصرُ.....

لَكُم المَجدُ.....

لكمُ فلسطين.....

عاشت فلسطين حرةً آبية. .....

شكراً لَكم جميعاً..

والسلامُ عليكم.